



الللصوصية في الجزائر خلال القرنين 17 و18م على ضوء الرحلات الحجازية المغربية
The banditry in Algeria during the 17th and 18th centuries, in the light of Morocco's
Hejaz journeys

فياض أحمد

Fiad Ahmad

جامعة 08 ماي 45-قائمة-(الجزائر)

مخبر التاريخ للأبحاث والدراسات المغاربية LHREM

fiad.ahmed@univ-guelma.dz

معطالله عزيزة

Matallah Aziza

جامعة الجزائر2(الجزائر)

مخبر المخطوطات،

Aziza.matallah@univ-alger2.dz

المرسل: معطالله عزيزة

النشر: 16/04/2022

القبول: 02/04/22

الارسال: 18/02/22

الملخص:

شهد المجتمع الجزائري خلال القرنين 17 و18م انتشارا واسعا لظاهرة اللصوصية التي تعددت أساليبها وطرقها وأسبابها، وقد تم الإشارة لها في الكثير من النصوص التاريخية خاصة النصوص الرحلية الحجية المغربية التي تعتبر من أبرز المصادر التي رصدت لنا الظاهرة ومدى تفشيها في أوساط المجتمع الجزائري خلال القرنين 17 و18م الذي يعد المجال الزمني للدراسة. الكلمات المفتاحية: المجتمع الجزائري، الجزائر العثمانية، اللصوصية، الرحلة الحجازية، المغرب.

Abstract

In the 17th and 18th centuries, Algerian society was seen by the widespread phenomenon of banditry, its methods, forms and causes varied. It has been mentioned in many historical texts, In particular, Morocco's pilgrimage journey texts the most visible sources that we have observed is the phenomenon and its prevalence in Algerian society, During the 17th and 18th centuries, it is the time domain of study.

Keywords. Algerian society, Ottoman Algeria, banditry, Hejaz journey, Morocco.

مقدمة:

اهتمت النصوص التاريخية المغربية ببعض الظواهر الاجتماعية في الجزائر خلال العهد العثماني محمودة كانت أم مذمومة والتي أخذت حيزا كبيرا ضمن تلك الكتابات، إذ سجل فيها أصحابها كل ملاحظاتهم وأحكامهم اتجاه تلك الظواهر بحكم معاشتهم لها أو سماعهم عنها، والمتصفح لتلك النصوص يجد الكثير من الإشارات عنها.

تعددت تلك الظواهر التي سلطت الكتابات التاريخية الضوء عليها خاصة التي استهجنها المجتمع أو زوار الجزائر في تلك الفترة، وأبرزها ظاهرة اللصوصية التي انتشرت بشكل واسع في أوساط المجتمع الجزائري خلال القرنين 17 و18 م خاصة في المناطق الريفية والنائية، وقد سعينا من خلال هذه الدراسة إلى محاولة تتبع الظاهرة وتحديد أسبابها وعقوبتها حسب النصوص التاريخية التي أرخت لها، ومن أبرز تلك النصوص التي اعتمدنا عليها كتب الرحلة الحجازية المغربية التي زار أصحابها الجزائر في طريقهم إلى البقاع المقدسة مابين القرنين 17 م و18 م، وتعد تلك الرحلات من أهم المصادر التي اهتمت بتدوين كل ما يتعلق بالمجتمع وأسباب تفشي العديد من الظواهر التي انتشرت في تلك الفترة، ورد فعل السلطة العثمانية اتجاه مرتكبيها كظاهرة اللصوصية، وبالتطرق لمثل تلك الظواهر التي انتشرت في مدن وأرياف إيالة الجزائر نكشف عن أوضاع المجتمع في تلك المناطق.

1. صورة عن بعض الرحلات الحجازية المغربية خلال القرنين 17 و18 م:

تعددت الرحلات الحجازية المغربية خلال القرنين 17 و18 م التي أرخت للمجتمع الجزائري في جوانب مختلفة، كما ساهمت في الكشف عن بعض الظواهر التي انتشرت في أوساط المجتمع منها المستحبة ومنها التي ذمها واستهجنها هؤلاء الرحالة، وقد حاولنا تتبع هاته الرحلات الحجازية المغربية خلال القرنين 17 و18 م فوجدت المحققة منها والتي استطعنا الإطلاع عليها حوالي 18 رحلة، أما غير المحققة فهي كثيرة محفوظة في الخزائن العامة والخاصة في المملكة المغربية، وأبرز تلك الرحلات المحققة والمخطوطة ما تم الإشارة إليه في الجدول التالي.

جدول يمثل أهم الرحلات الحجازية المغربية خلال القرنين 17 و18 م

عنوان الرحلة	صاحب الرحلة	نوع الرحلة	سنة الرحلة
أبي عبد الله محمد بن أحمد القيسي ¹	أبي عبد الله محمد بن أحمد القيسي الشهير بالسراج	رحلة حجازية	1040-1042 هـ / 1630-1633 م
الرحلة الحجية الصغرى الموسومة بتعداد المنازل ²	أبو سالم عبد الله بن محمد بن أبي بكر العياشي	رحلة حجازية	1068 هـ / 1658 م
الرحلة العياشية ³	أبو سالم عبد الله بن محمد بن أبي بكر العياشي	رحلة حجازية	1661-1663 م
رحلة أحمد الهشتوكي الحجية	أبو العباس أحمد بن محمد بن	رحلة حجازية	1096 هـ / 1685 م

الأولى "هداية الملك العلام" ⁴	داود الهشتوكيالتملي الدرعي		
المعارج المرقية في الرحلة المشرقية ⁵	محمد الرافعي التطواني	رحلة حجازية	1096هـ / 1685م
رحلة اليوسي ⁶	محمد العياشي بن الحسن اليوسي	رحلة حجازية	1101 - 1102هـ / 1690 - 1691م
رحلة أحمد الهشتوكي الحجية الثالثة ⁷	أبو العباس أحمد بن محمد بن داود الهشتوكيالتملي الدرعي	رحلة حجازية	1119هـ / 1707م
الرحلة الناصرية ⁸	أبو العباس أحمد بن محمد بن ناصر الدرعي	رحلة حجازية	1121 - 1122هـ / 1709 - 1710م.
رحلة ابن الطيب من فاس إلى مكة المكرمة ⁹	محمد الطيب "ابن محمد بن موسى الفاسي الشرقي"	رحلة حجازية	1139هـ / 1723م
رحلة الوزير الإسحافي الحجازية ¹⁰	أبو محمد سيدي الشرقي بن محمد الإسحافي	رحلة حجازية	1143هـ / 1731م
بلوغ المرام بالرحلة إلى البيت الحرام ¹¹	عبد المجيد بن علي الحسني الإدرسي الفاسي	رحلة حجازية	1148هـ / 1735م
التوجه لحج بيت الله الحرام وزيارة قبره عليه الصلاة والسلام ¹²	أبو العباس أحمد بن عبد العزیز الهلالي السجلماسي	رحلة حجازية	1150هـ / 1737م
الرحلة الحجازية ¹³	أبو مدين عبد الله بن أحمد بن الصغير الدرعي	رحلة حجازية	1152هـ / 1740م
الرحلة الحجازية ¹⁴	أبو عبد الله محمد بن أحمد الحضيكيالسوسي	رحلة حجازية	1152هـ / 1740م
الرحلة الناصرية الكبرى ¹⁵	محمد بن عبد السلام الناصري الدرعي	رحلة حجازية	1196هـ / 1782م
الرحلة الناصرية الصغرى ¹⁶	محمد بن عبد السلام الناصري الدرعي	رحلة حجازية	1211هـ / 1796م

من خلال الجدول أعلاه يتضح لنا تعدد الرحلات الحجازية المغربية خلال القرنين 17 و 18 م، ناهيك عن تلك التي لا تزال حبيسة الخزائن سواء العامة أو الخاصة وتحتاج إلى دراسة لتمكين الباحث من الإطلاع على محتواها وما جادت به من معلومات، ليس فقط ما يخص إيالة الجزائر بل كل البقاع التي مرت عليها تلك الرحلات سواء المغربية أو المشرقية في تلك الفترة، وقد اختلفت تلك الرحلات من حيث نقطة الانطلاق والمسالك.

2. عوامل انتشار ظاهرة اللصوصية في الجزائر العثمانية:

إن دراسة الظواهر الاجتماعية المختلفة في فترة زمنية ما تقودنا حتما إلى البحث عن الأسباب الكامنة لانتشارها في المجتمعات، وعليه فقد تعددت أسباب انتشار ظاهرة اللصوصية في الجزائر خلال الفترة المدروسة ومن أبرزها:

1.2 العوامل السياسية:

تميزت العلاقة بين القبائل والسلطة العثمانية في الجزائر بالتوتر الدائم وعدم الاستقرار مما نتج عنه تمرد البعض من الحين إلى الآخر، وقد أفضت تلك المشاحنات إلى نهب العديد من المناطق المجاورة لتلك القبائل واجتياح بعض السهول وقطع الطرق والسطو على القوافل خاصة المحملة بالقمح¹⁷، وازدادت حدتها نهاية القرن الثامن عشر وبدايات القرن التاسع عشر؛ إذ شهدت هذه الفترة اضطرابات في العلاقات بين السلطة والرعية مما أدى إلى نشوب العديد من الثورات أبرزها ثورة ابن الأحرش (1804م) في بايلك الشرق والثورة الدرقاوية (1805) ببائلك الغرب اللتان تسببتا في هجرة العديد إلى أماكن بعيدة عن أعين السلطة وممارسة اللصوصية لضمان عيشها.

ويمكن أن نرجع أسباب اللصوصية والنهب من طرف بعض القبائل للقوافل إلى رفض السلطة العثمانية دفع ضريبة المرور أو ما تعرف بضريبة الصرة¹⁸ لتلك القبائل، وبالتالي أصبحت هذه الأخيرة تمتنن الحراية خاصة ضد القوافل وتحديدا العائدة من رحلتها لكثرة السلع التي يحملها الركبان¹⁹.

2.2 العوامل الاجتماعية:

كان تراجع المستوى المعيشي للأفراد نتيجة الاضطرابات السياسية في الجزائر سببا في تفاوت الثروة مما أدى إلى شيوع الفقر بين شرائح واسعة من المجتمع²⁰، والفقر من بين الأسباب المباشرة التي أدت إلى حدوث بعض السلوكيات الاجتماعية غير الأخلاقية كاللصوصية التي لم تقتصر فقط على الرجال بل مارسها أيضا النساء كنساء قبيلة الأعشاش²¹.

تعد الضرائب المختلفة التي فرضتها السلطة العثمانية على السكان وخاصة ساكنة المناطق الريفية إحدى أسباب انتشار الفقر وهجرة الأفراد لأراضيهم؛ إذ ومع بداية القرن 18م تراجعت عوائد البحرية الجزائرية وتناقصت الغنائم مما سمح ببروز الضرائب كوسيلة من طرف الحكام لتغطية مصاريف جنود الانكشارية وتعويض العجز المالي، هذه الضرائب المختلفة أثقلت كاهل السكان مما دفع بالكثير منهم إما للهجرة الخارجية أو النزوح إلى أماكن بعيدة عن أعين السلطة والتحول من الحياة الزراعية إلى الحياة الرعوية ما نتج عنه نقص في المواد الغذائية وخاصة الحبوب²²، ولم تكن الهجرة السبب الوحيد في نقص الغذاء بل تفشي القحط كان سببا آخر في نقص الحصاد، واحتكار الشركات اليهودية للحبوب كان سببا في ندرتها²³، وكنتيجة حتمية للوضع وتفايدا للجوع والموت مارس العديد من أفراد المجتمع اللصوصية للحصول على قوتهم وقوت عيالهم.

ويمكننا القول أيضا أن هجرة الأفراد هي المتسبب الرئيسي في نقص الغذاء وانتشار الفقر المؤدي إلى شيوع ظاهرة السرقة، ومن أبرز أسباب تلك الهجرات انتشار الأوبئة كوباء الطاعون الذي ضرب العديد من مناطق الجزائر في فترات مختلفة من تاريخها الحديث مما أدى بالعديد منهم إلى الهجرة عن أراضيهم وزروعهم ما تسبب في نقص الحبوب وخاصة القمح، ونتج عن ذلك غلاء الأسعار وبالتالي أدى إلى انتشار الفقر والعوز وهذا ما أشار إليه العديد من الرحالة المغاربة أثناء مرورهم ببوادي وأرياف الجزائر؛ إذ يذكر الرحالة الناصري في رحلته الحجازية بداية القرن 18م أن الوباء اجتاح العديد من المناطق فاستفحلت الغارات على الأراضي والزروع²⁴ والسرقة من طرف الأعراب²⁵ أو كما نعتهم الورثاني بحثالة البشر²⁶.

كما تسببت أيضا بعض الكوارث الطبيعية في تفشي الظاهرة في جل مناطق الولاية كالزلازل التي ضربت إيالة الجزائر منها زلزال 1712 و1717م اللذان تبعتهما أعمال نهب وسلب من طرف القبائل لبعض السهول والقوافل²⁷.

3. اللصوصية في الجزائر خلال القرنين 17 و18م:

انتشرت ظاهرة اللصوصية بشكل واسع في الجزائر أثناء التواجد العثماني وازدادت حدة في المناطق البعيدة عن عين السلطة خاصة في القرى والمناطق الريفية، ومن أبرز من قدّم لنا صورة عن الظاهرة في المجتمع الجزائري "كتب الرحلة الحجازية المغربية"؛ إذ صورت لنا حوادث السرقة في أثناء مرور ركبهم على المناطق الريفية التي تسكنها الأعراب، خاصة في الوديان والطرق الضيقة التي لا مجال للحجيج من الفرار منها، فمرتكبوها كانوا يستغلونها خاصة أثناء حلول الظلام ومعرفتهم لمختلف الطرق والمداخل للكيد بالقوافل خاصة الحجيج، وكانت مؤخرة الركب المتضرر الأول من النهب والسرقة²⁸.

أرهقت أعمال النهب القوافل المارة على الجزائر فاتفق العديد من الرحالة المغاربة على كشف كيدهم ومكرهم، فالرحالة المغربي العياشي من بين الذين سعوا إلى محاولة فضح أساليبهم في السرقة والنهب، ففي رحلته الصغرى أوصى صديقه أبي العباس الميلدي²⁹ سنة 1658م وحذّره من مكرهم وخبثهم في قوله: "...واحدروا من السرقة ليلا..."، وأيضا: "فاحذروا السرقة منهم وإن وجدتم عليها الأعراب فاحذروهم ولا تأمنوهم..."³⁰.

اشتهر بعض سكان قرى مناطق الجزائر بالسرقة لدى الرحالة المغاربة أبرزهم سكان فجيج خاصة الجهة الغربية منها³¹، وأعراب بشار الذين كان لا يسلم منهم أحد، ولشدة عداوتهم لا يمكن لأي مار من الاستقرار في المنطقة، أما عن أعراب بوسمغون فقد كانوا يستغلون غفوة البعض لنهب أموالهم وأمتعتهم وحتى أسلحتهم، فسرقة الركبان بالنسبة لهؤلاء تجارة رابحة لهم دون كد ولا جهد³².

ومن الرحالة المغاربة الذين مروا على الجزائر خلال القرن 18م وأثناء طريقهم إلى بيت الله الحرام تعرضوا إلى نهب وسرقة الأعراب الرحالة محمد بن عبد السلام الناصري الدرعي³³ الذي أشار في رحلتيه الصغرى والكبرى إلى محاولات السطو التي تعرض لها أثناء مروره على منطقة أهل البيبان³⁴؛ إذ سرقت منه بغلة في طريق عودته

من رحلة الحج ولغيره من الركب الكثير من القماش والبغال بالرغم من حراستهم لمتاعهم، واستطاعوا القبض على الجاني متلبسا ملطخا بالسمن، وقد شبّه الرحالة هؤلاء الأعراب بأعراب بسكرة³⁵ الذين اشتهروا بالسرقة والسطو على المارة، إذ يذكر في روايته عن أحد أصدقائه أن بعض اللصوص قاموا بسرقة كسكاس على القدر بما فيه من طعام جهارا نهارا، وقد يعود سبب السرقة هنا إلى الجوع نتيجة القحط الذي ضرب المنطقة في بداية نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر، ومن القبائل التي اشتهرت أيضا بالسطو على القوافل التي مرت بضواحي سيدي خالد آل بوعكاز الذين شيع عنهم نهب الحجيج وسرقتهم³⁶.

لم تنحصر ظاهرة اللصوصية في قبيلة أو منطقة معينة من مناطق الجزائر العثمانية بل انتشرت في أغلب المناطق خاصة الريفية، وكان قطاع الطرق يستغلون الشتاء للهجوم على بعضهم البعض والسطو على المارة في الطرقات المنعزلة وسلمهم، وقد يتعدى ذلك إلى القتل³⁷، واشتهر ممن مارسوا اللصوصية بالبراعة في السرقة نظرا لخفتهم ونباهتهم إذ كانوا يتسللون ليلا إلى المزارع ويفكون قيود الحيوانات دون انتباه أصحابها وكلاهم ويمتطونها ويفرون بها، كما كانت لهم مهارة كبيرة في العثور على أماكن مطامير جيرانهم وسرقتها³⁸.

ذيع عن جل أعراب القرى وأرياف إيالة الجزائر التي كانت ممرا للقوافل الحجازية والتجارية ممارستهم للصوصية؛ إذ لم ينج ركب من شرورهم كسكان وادي سوف³⁹ وأعراب تجمون الذين قاموا بسرقة الإبل والبنادق والحلي لركب الرحالة محمد بن عبد السلام الناصري الدرعي، وبفضل حنكة الركبان استطاعوا أن يردوا الإبل بعد تشاور مع أهل البلد، كما كان أعراب توميات لا ينجو من قبضتهم أحد وقد روى الرحالة عن أحد الحجيج أنه وفي طريقه للبحث عن فرسه بعد ضياعها إذ به يقع في يد جماعة من الأعراب فسلبوه وأخذوا بضاعته وجرحوه⁴⁰.

ومن القبائل التي اشتهرت أيضا باعتراضها للقوافل خاصة الحجازية العائدة من رحلة الحج "الناماشة"⁴¹، هذه القبيلة التي وصف الورثاني أهلها بأقبح الناس وأشرسهم نتيجة ممارستهم للنهب والسلب والتمرد ليس فقط على القوافل بل على حكام قسنطينة أيضا⁴²، كما نجد قبائل فليته التي بلغت شهرتهم في النهب والسرقة إلى الحد أن لا أحد يتجرأ على الميل صوبهم إلا أردوه قتيلا أو مأسورا⁴³، كما اشتهر سكانها بقطع الطريق على المسافرين ليلا وسلمهم سلعهم والتوجه بها إلى جبالهم وبيعها في أسواقهم⁴⁴، ومن القبائل التي مارست أيضا اللصوصية والسرقة وزرع الخوف والرعب في مسالك وطرقات الجزائر في الفترة العثمانية قبائل الأعشاش⁴⁵ والحشم⁴⁶ الذين يخافهم القريب والبعيد⁴⁷.

لجأ مسيروا القوافل ولتفادي هجمات قطاع الطرق إلى استئجار مسلحين لدحض شرور تلك الأقوام، أو اصطحاب بعض المرابطين والمتصوفة معهم نظرا لمكانتهم عند سكان الجزائر والمغرب ككل، ونتيجة لسمعتهم والكرامات التي يتمتع بها هؤلاء كان سكان البوادي يخشونهم ويهابونهم، وخوفا من دعوات هؤلاء المرابطين كان الأعراب ممن اشتهروا باللصوصية لا يقربون للقوافل التي يرافقها المرابطون وأصحاب الكرامات⁴⁸.

لم تمارس اللصوصية في الجزائر خلال العهد العثماني من طرف القبائل فقط بل مارسها بعض من ادعى الولاية والكرامة بالتعاون مع بعض اللصوص كالقاسم بن أم هاني الذي سلّط على بعض القبائل لصوصا لنهبهم بغية إخضاعهم له والتصديق بكراماته، وهذه إحدى طرق البعض من الدجاجة لجلب أعداد كبيرة من الأتباع له⁴⁹.

إن أعمال النهب والسرقة لم تستهدف الطرقات أو القوافل فحسب، ولم تمارسها فقط الأعراب بين الأودية وفي مفارق الطرق بل تعدت إلى سرقة البيوت والحقول والمزارع أيضا بما فيها من فواكه وخضر⁵⁰ لذلك كان حكام الجزائر لا يأمنون خدامهم ويخشونهم، فمثلا الباي محمد الكبير⁵¹ كان يخشى عمليات النهب من طرفهم، إذ كان يرى أنهم أناس لا يبحثون إلا عن السرقة فحذر الخزندار تيدنا منهم⁵²، كما استطاع الداوي شعبان⁵³ أن يلقي القبض على أحدهم وهو يخبيء حبات برقوق تحت برنوسه بعد أن قام بسرقتها من أحد التجار⁵⁴، وقد حدث موقف مماثل مع صالح باي قسنطينة؛ إذ تمكن خدمه من إلقاء القبض على أحدهم وهو يحاول سرقة بعض المؤونة المخصصة له ونتيجة لذلك سلّط عليه أشنع العقاب⁵⁵.

إن اللصوصية لم يمارسها الرجال فقط بل النساء أيضا كنساء قبيلة الأعشاش التي اشتهرت بقطع السبل⁵⁶، وقد ذكر عبد الكريم بن الفكون في نوازله مسألة حول سرقة امرأة لحوائج أحدهم ولجئها بعد ذلك إلى دار الحاكم، وكانت تخرج من عنده نحو الديار وتغفل الناس وتسرقهم وتأتي بما تسرق وتشاطر الحاكم المذكور، وهذه عاداتها على مر الأيام حتى قبض عليها⁵⁷، فممارسة المرأة للصوصية والسرقة تعكس مدى تفشي الظاهرة في أوساط المجتمع الجزائري خاصة في الريف والتي تعود إلى أسباب عدة.

ومحاولات السرقة في الجزائر خلال القرنين 17 و18م التي ذكرتها الكتابات التاريخية عديدة، فسواء السرقة أو اللصوصية أو الحراة كما يسميها البعض ظواهر لم يفرضها المكان أو الزمان بقدر ما فرضتها ظروف الفرد وضعف قناعاته بالاكتماء بما لديه، فقد نجد البعض وكما ذكره العديد من المؤرخين توفرت لديهم كل الإمكانيات المادية والمعنوية لكن بالرغم من ذلك مارسوا اللصوصية بغية التنكيل بغيرهم كما هو الحال بالنسبة للقبائل فيما بينها، أو ممارستها بقصد ضرب السلطة العثمانية فيكون الآخر هو الضحية، ولردع تفشي الظاهرتين في أوساط المجتمع الجزائري سلّط الحكام العثمانيون أنواعا عدة من العقوبات على مرتكبي جريمة السرقة.

4. عقوبة جريمة السرقة في الجزائر خلال التواجد العثماني:

أولت السلطة العثمانية في الجزائر اهتماما كبيرا بأمن الطرقات ومعاقبة كل من يحاول المساس بأمنها، كما وضعت قوانين صارمة للحد من بعض الظواهر كظاهرة اللصوصية التي استفحلت في العديد من المناطق الجزائرية وبين أوساط المجتمع، ففي المدن وضعت فرقاً للشرطة مهمتها مراقبة السلوكيات غير القانونية للأفراد وإلقاء القبض عليهم بالتعاون مع جماعة البسكرة التي كان لها دور هام في استتباب الأمن في المدن خاصة في الليل والمتمثل في حراسة أبواب المدن ومراقبة الشوارع⁵⁸.

1.4 عقوبة قطع اليد:

تعددت عقوبات السرقة التي طبقها الحكام العثمانيون في الجزائر ، وكل عقوبة أشد من غيرها، ونتيجة ذلك كان كل سارق يلقي عليه القبض من طرف فرق الشرطة في البايليكات متلبسا بجرم السرقة يتوجه للحاكم ويلتمس منه العفو نظرا لصرامة وشدة العقاب⁵⁹.

إن من أبرز ما سنته الشريعة الإسلامية من قوانين في حق السارق قطع يده اليمنى لكي لا يعيد جرمه مرة ثانية، وقد كانت هذه العقوبة من ضمن العقوبات التي سلطتها السلطة العثمانية في الجزائر على جناة جرم السرقة، فأسير أحمد باي قسنطينة (1826-1837م) فندلين شلوصر يذكر في مذكراته أنه رأى طفلا قطعت يده اليمنى لأنه سرق مهمازا من دكان تاجر، وتنفيذ العقوبة أسند للحلاق أو كما ذكره هو الحفاف الذي يلعب دور الطبيب، وقطع اليد يكون بموس الحلاقة من المعصم، ولإيقاف الدماء يقوم بغمس الذراع في القار الحار⁶⁰، والسارق بعد ما تقطع يده اليمنى تعلق على كتفه ويحمل على حمار ويحاط به في المدينة ووجهه إلى الخلف يستبقه ممثل عن السلطة العثمانية ينادي "هذا لص عوقب"⁶¹.

2.4 عقوبة الجلد:

أما العقوبة الأكثر انتشارا في الجزائر هي الجلد، فقد كان الشخص السارق يجلد على بطنه أو رجليه بعصا صغيرة وعدد الجلدات تتراوح ما بين خمسون إلى ألف جلدة، وعقوبة السرقة لم تطبق على العامة فقط بل طبقت أيضا على بعض الموظفين في الدولة، فالداي شعبان (1689-1695م) قام بجلد أحد الإنكشارية خمسمائة جلدة بعد أن ثبتت في حقه تهمة السرقة⁶².

3.4 عقوبة القتل:

إن عقوبة جرم السرقة في الجزائر في الفترة العثمانية لم تنحصر في قطع يد السارق أو الجلد فقط بل كانت تستبدل في بعض الأحيان بعقوبات أخرى طبقها بعض الحكام العثمانيين قد تصل إلى الموت⁶³، فصالح باي مثلا استبدلها بعقوبة الخازوق⁶⁴؛ إذ أمر بقتل أحدهم بالخازوق بعد أن حاول السارق سرقة المؤونة التي أعدت لتغذيته⁶⁵، كما يذكر الرحالة محمد بن عبد السلام الناصري في رحلته الصغرى أن السارق يعلق منكسا رأسه حتى يموت، وهذه العقوبات تتنافى مع حكم السارق الذي سنته الشريعة الإسلامية استنادا لقوله تعالى: "وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ"⁶⁶.

وبالرغم من سعي السلطة العثمانية إلى الحد من انتشار الظاهرة باستعمال عدة طرق وسائل لردع مرتكبيها إما بالتعاون مع القبائل المتحالفة معها وذلك بوضع حراس دائمين لتأمين الطرق الريفية للقوافل خاصة أنها المستهدف الأول من عمليات السرقة نظرا لكميات السلع التي تحملها، أو تطبيق أقصى العقوبات على مرتكبيها وأبرزها ما نصت عليه الشريعة الإسلامية وهو قطع اليد، إلا أن الظاهرة استفحلت في ربوع مناطق الجزائر خلال القرنين 17 و18م، فلم يسلم منها أحد لا سكان الأرياف ولا المدن ولا حتى زوارها سواء كانوا رحالة أو علماء

أو حتى مهاجرين، وتبقى هذه الظاهرة وغيرها نتاج عدة ظروف سواء كانت عينية للباحث أو استعصى عليه الوصول إلى مسبباتها الحقيقية.

5. خاتمة:

ظاهرة اللصوصية في الجزائر أثناء الوجود العثماني من الظواهر التي أرهقت العديد من سكانها أو زوّارها، مارسها القبائل أو الأفراد أو حتى بعض الموظفين في السلطة بالرغم من معرفتهم المسبقة لعقوبتها، مما أدى إلى تشديد السلطة العقوبة على مرتكبيها في بعض الأحيان.

إن السرقة لم يمارسها الرجال كأفراد أو قبائل فحسب بل تعدى ذلك إلى العنصر النسوي الذي يعد ركيزة المجتمع، ومن هنا يتساءل الباحث إلى مدى تدنى الوازع الديني والخلقي في المجتمع الجزائري في القرنين 17 و18م لكي يصل بالمرأة إلى ممارسة السطو واللصوصية؟ فتفتشي الظاهرة في عمق المجتمع تنويه إلى مدى انتشار الفساد في أوساط أفرادها.

6. المراجع:

المصادر:

- 1الأغواط الحاج بن الدين، رحلة الأغواط، طبعة خاصة، تح: أبو القاسم سعد الله، المعرفة الدولية، الجزائر، 2011م.
- 2الإفراني محمد بن عبد الله الصغير، صفوة من انتشر في أخبار صلحاء القرن الحادي عشر، ط1، تح: عبد المجيد خيالي، مركز التراث الثقافي المغربي، المغرب، 2004م.
- 3الجزائري ابن ميمون، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، ط1، تح: محمد بن عبد الكريم، دار الوعي، الجزائر، 2018م.
- 4الدرعي أبو العباس أحمد بن ناصر، الرحلة الناصرية 1709-1710م، ط1، تح: عبد الحفيظ ملوكي، دار السويدي، أبو ظبي، 2011م.
- 5الدرعي محمد بن عبد السلام الناصري الدرعي، الرحلة الناصرية الكبرى، ط1، ج1، تح: المهدي الغالي، دار أبي رقرق، المملكة المغربية، 2019.
- 6الدرعي محمد بن عبد السلام الناصري، الرحلة الناصرية الصغرى، تح: محسن أخريف، دار أبي رقرق، المملكة المغربية، 2019م.
- 7الراشدي أحمد بن محمد بن علي بن سحنون، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تح: المهدي البوعبدلي، اعتنى به: عبد الرحمان دويب، طبعة خاصة، دار المعرفة الدولية، الجزائر، 2013م.
- 8السجلماسي أبو العباس الهلالي، التوجه لحج بيت الله الحرام وزيارة قبره عليه الصلاة والسلام، تح: محمد بوزيان بنعلي، ط1، مطبعة الجسور، وجدة، المملكة المغربية، 2012م.
- 9شمر وليام، مذكرات وليام شمر قنصل أمريكا في الجزائر 1816-1830م، تر: إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980م.
- 10شلوصر فندلين، قسنطينة أيام أحمد باي 1832-1837م، تر: أبو العيد دودو، وزارة الثقافة، الجزائر، 2007م.
- 11العايشي أبو سالم عبد الله بن محمد، الرحلة العياشية الصغرى الموسومة بتعداد المنازل الحجية، ط1، تح: عبد الله حمادي الإدريسي، دار الكتب العلمية، لبنان، 2013م.
- 12العتار أحمد بن المبارك، تاريخ بلد قسنطينة، تح: عبد الله حمادي، دار الفائز، قسنطينة، 2011م.
- 13فايسات أوجان، تاريخ قسنطينة خلال الفترة العثمانية 1519-1837، ط1، تر: أحمد سيساوي، هارون حمادو، كنوز يوغرطا، الجزائر، 2019م.

14 الفكون عبد الكريم، منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية، ط1، تح: أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1987م.
15 الفكون محمد بن عبد الكريم، كتاب نوازل قسنطينة للشيخ محمد بن عبد الكريم الفكون المتوفي سنة 1114هـ/ 1702م، تح: هواري تواتي، عائشة بلعابد، دار الزيتونة، الجزائر، 2018م.

16 القرآن الكريم.

17 المجدلي أحمد بن سعيد (ت 1094-1682)، كتاب التيسير في أحكام التعسير، تح: موسى لقبال، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1970م.

18 المديوني ابن مريم المليتي، البستان في ذكر العلماء والأولياء بتلمسان، ط1، تح: عبد القادر بوباية، مكتبة الرشاد، الجزائر، 2011م.

19 الورثاني الحسين بن محمد، نزهة الأنظار في علم التاريخ والأخبار، تح: محمد بن شنب، مطبعة بيار فونتانا، الجزائر، 1908م.

المراجع:

1 أتر عزيز سامح، الأتراك العثمانيون في شمال افريقيا، ط1، تر: محمود علي عامر، دار النهضة العربية، بيروت، 1989م.

2 بن بكار بلهاشي، كتاب مجموع النسب والحسب والفضائل والتاريخ والأدب في أربعة كتب، مطبعة ابن خلدون، تلمسان، 1961م.

3 بن خروف عمار، العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بين الجزائر والمغرب في القرن العاشر هجري/ السادس عشر ميلادي، ج2، دار الأمل، الجزائر، 2008.

4 سبنسر وليام، الأتراك العثمانيون في شمال افريقيا، ط1، تر: محمود علي عامر، دار النهضة العربية، بيروت، 1989م.

5 المدني أحمد توفيق، محمد عثمان باشا داي الجزائر 1766-1791 م "سيرته- حروبه- أعماله- نظام الدولة والحياة العامة في عهده، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986.

المذكرات:

1 دحماني توفيق، الضرائب في الجزائر 1792-1865م "دراسة مقارنة"، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث، جامعة بن يوسف بن خدة، الجزائر، 2007-2008م.

2 غطاس عائشة، الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر 1700-1830م "مقاربة اجتماعية- اقتصادية"، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه دولة في التاريخ الحديث، ج1، جامعة الجزائر، 2000-2001م.

المجلات:

1 معاشي جميلة، "أهمية رحلة الحج في السياسة العثمانية"، مجلة الهجرة والرحلة، جامعة منتوري "قسنطينة"، ع1، 2005م.

2 هلايلي حنيفي، "الشرطة والقضاء في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني بين ثنائية المصادر المحلية والأوروبية"، المجلة التاريخية المغاربية، ع134، س36، مارس 2009م.

المراجع باللغة الفرنسية:

1Ernest Mercier,Histoire de Constantine, présentation de OuardaSiari-Tengour et Alain Messaoudi, Editions bouchéne,Saint-Denis,2019.

2M Emerit,Les aventure de Thédénat esclave et ministre d'un Bey D'Afrique(XVIII' siècle) Mémoire deThédéna , Revu Africaine, N 92, 1984.

¹ -حققت من طرف محمد الفاسي سنة 1968م.

- ² -حققت من طرف عبد الله حمادي الإدريسي سنة 2013م.
- ³ -حققت من طرف سعيد الفاضلي وسليمان القريشي سنة 2006م.
- ⁴ -مخطوط بالمكتبة الوطنية بالرباط
- ⁵ -مخطوط بالخزانة الداودية بتطوان
- ⁶ -حققت من طرف أحمد الباهي سنة 2018.
- ⁷ -مخطوط بالمكتبة الوطنية بالرباط.المغرب.
- ⁸ -محققة من طرف عبد الحفيظ ملوكي سنة 2009م.
- ⁹ -حققت من طرف عارف أحمد عبد الغني سنة 2014م.
- ¹⁰ -محققة من طرف محمد الأندلسي سنة 2017م.
- ¹¹ -حققت من طرف محمد زينهم.
- ¹² -مخطوط بخزانة عبد الله البلبالي، كوسام، أدرار-الجزائر، ومحققة من طرف محمد بوزيان بن علي.
- ¹³ -مخطوط بالمكتبة الوطنية بالرباط-المغرب-
- ¹⁴ -محققة من طرف عبد العالي لمدير سنة 2011.
- ¹⁵ -حققت من طرف المهدي الغالي سنة 2013م.
- ¹⁶ -محققة من طرف محسن خريف سنة 2019.
- ¹⁷ -وليام سينسر: الأتراك العثمانيون في شمال إفريقيا، ط1، تر: محمود علي عامر، دار النهضة العربية، بيروت، 1989م، ص 526.
- ¹⁸ -الصرة أو الصرا كيس يوضع فيه مبلغا من المال يخصص لقبائل البدو لمنعهم من مهاجمة الحجيج المارين بأراضيهم، وهي بمثابة رسوما للمرور وشراء أخوة الأعراب وقطاع الطرق، وقد كان يفرض على أمير الحج دفع تلك الضريبة للأعراب، فإذا لم يدفعها وحصل أي مكروه يعاقب إما بالفصل أو القتل. ينظر: جميلة معاشي: أهمية رحلة الحج في السياسة العثمانية، مجلة الهجرة والرحلة، جامعة منتوري "قسنطينة"، ع1، 2005م، ص 53، 57.
- ¹⁹ -المرجع نفسه، ص 50.
- ²⁰ -عائشة غطاس: الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر 1700-1830م "مقاربة اجتماعية-اقتصادية"، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه دولة في التاريخ الحديث، ج1، جامعة الجزائر، 2000-2001م، ص 325.
- ²¹ -أحمد بن محمد بن علي بن سحنون الراشدي: الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تح: المهدي البوعبدلي، اعتنى به: عبد الرحمان دويب، طبعة خاصة، دار المعرفة الدولية، الجزائر، 2013م، ص 145.
- ²² -توفيق دحماني: الضرائب في الجزائر 1792-1865م "دراسة مقارنة"، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث، جامعة بن يوسف بن خدة، الجزائر، 2007-2008م، ص 469.
- ²³ -أوجان فايسات: تاريخ قسنطينة خلال الفترة العثمانية 1519-1837، ط1، تر: أحمد سيساوي، هارون حمادو، كنوز يوغرطا، الجزائر، 2019م، ص 210.
- ²⁴ -أحمد بن المبارك العطار: تاريخ بلد قسنطينة، تح: عبد الله حمادي، دار الفائز، قسنطينة، 2011م، ص 50.
- ²⁵ -أبو العباس أحمد بن ناصر الدرعي: الرحلة الناصرية 1709-1710م، ط1، تح: عبد الحفيظ ملوكي، دار السويدي، أبو ظبي، 2011م، ص 139، 140.
- ²⁶ -الحسين بن محمد الورثاني: نزهة الأنظار في علم التاريخ والأخبار، تح: محمد بن شنب، مطبعة بيار فونتانة، الجزائر، 1908م، ص 87.
- ²⁷ -عزيز سامح التري: الأتراك العثمانيون في شمال إفريقيا، ط1، تر: محمود علي عامر، دار النهضة العربية، بيروت، 1989م، ص 478.
- ²⁸ -أبو العباس الهلالي السجلماسي: التوجه لحج بيت الله الحرام وزيارة قبره عليه الصلاة والسلام، تح: محمد بوزيان بنعلي، ط1، مطبعة الجسور، وجدة، المملكة المغربية، 2012م، ص 174.
- ²⁹ -وهو أبو العباس أحمد بن سعيد المجيلدي "الميلدي" أحد قضاة المغرب الأقصى، من أكابر الأعلام به، أجاز له أبو سالم العياشي، له تأليف عدة منها شرح مختصر خليل سماه إمام الحواشي، توفي سنة 1094هـ/ 1682م. ينظر: محمد بن عبد الله الصغير الافراني: صفوة من انتشر في أخبار صلحاء القرن الحادي عشر، ط1، تح: عبد المجيد خيالي، مركز التراث الثقافي المغربي، المغرب، 2004م، ص 326، وأيضا: أحمد بن سعيد المجيلدي(ت 1094-1682): كتاب التيسير في أحكام التعسير، تح: موسى لقبال، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1970م، ص 14، 21.

- ³⁰ -أبو سالم عبد الله بن محمد العياشي: الرحلة العياشية الصغرى الموسومة بتعداد المنازل الحجية، ط1، تج: عبدالله حمادي الإدريسي، دار الكتب العلمية، لبنان، 2013م، ص 60-64.
- ³¹ -محمد بن عبد السلام الناصري الدرعي: الرحلة الناصرية الكبرى، ط1، ج1، تج: المهدي الغالي، دار أبي رقرق، المملكة المغربية، 2019، ص 192.
- ³² -أبو العباس الهلالي السجلماسي، المصدر السابق، ص 146-162-171.
- ³³ -هو أبو عبد الله محمد بن عبد السلام بن عبد الله بن محمد الكبير بن الشيخ أبي عبد الله محمد بن ناصر الدرعي التمكنوتي، الإمام الفقيه المحدث المسند الرحلة الجماع، أعلم علماء البيت الناصري بالفقه والحديث وأوسعهم رواية وأجسرهم قلما وأعلامهم إسنادا، المتوفي سنة 1823 م/ 1239 هـ. ينظر: عبد العلي بن عبد الكبير الكتاني: فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيوخ والمسلسلات، ط2، ج2، إع: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان-1982م، ص 843، 846.
- ³⁴ -أهل الببان هم أهل منطقة الببان التي تبعد عن قسنطينة مسافة ست أيام وسكانها من بني عباس وزواوة. ينظر: محمد بن عبد السلام الناصري الدرعي: الرحلة الناصرية الصغرى، تج: محسن أخريف، دار أبي رقرق، المملكة المغربية، 2019م، ص 259.
- ³⁵ -المصدر نفسه، ص 258، 259.
- ³⁶ -محمد بن عبد السلام الناصري الدرعي: الرحلة الناصرية الكبرى، ج1، ص 220-209.
- ³⁷ -فندلينشولوفر: قسنطينة أيام أحمد باي 1832-1837م، تر: أبو العيد دودو، وزارة الثقافة، الجزائر، 2007م، ص 91.
- ³⁸ - المصدر نفسه، ص 91.
- ³⁹ -الحاج بن الدين الأغواطي: رحلة الأغواطي، طبعة خاصة، تج: أبو القاسم سعد الله، المعرفة الدولية، الجزائر، 2011م، ص 96.
- ⁴⁰ -محمد بن عبد السلام الناصري الدرعي، الرحلة الناصرية الكبرى....، ج1، ص 208.
- ⁴¹ -قبائل قوية ذات نفوذ كبير، تقيم على الشريط الحدودي الشرقي لولاية الجزائر شملت عائلة أولاد خيار وعائلة العشاش. ينظر: Ernest Mercier: Histoire de Constantine, présentation de Ouarda Siari-Tengour et Alain Messaoudi, Editions bouchéne, Saint-Denis, 2019, p206.
- ⁴² -الحسين بن محمد الورثاني: المصدر السابق، ص 107.
- ⁴³ -أحمد بن محمد بن سحنون الراشدي: المصدر السابق، ص 146.
- ⁴⁴ -أحمد توفيق المدني: محمد عثمان باشا داي الجزائر 1766-1791م "سيرته- حروبه- أعماله- نظام الدولة والحياة العامة في عهده، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986م، ص 101.
- ⁴⁵ -الأعشاش قبيلة قرب مغنية لا تمر بها قافلة إلا سلبوها، ولا أوى إليهم شريدا إلا قتلوه. ينظر: أحمد بن محمد بن سحنون الراشدي: المصدر السابق، ص 145.
- ⁴⁶ -الحشم قبيلة عربية مشهورة بين معسكر وسعيدة، ولمعرفة المزيد عن أصول هذه القبيلة وأشرافها ينظر: بلهاشي بن بكار: كتاب مجموع النسب والحسب والفضائل والتاريخ والأدب في أربعة كتب، مطبعة ابن خلدون، تلمسان، 1961م.
- ⁴⁷ -أحمد بن محمد بن سحنون الراشدي: المصدر السابق، ص 145، 146.
- ⁴⁸ -عمار بن خروف: العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بين الجزائر والمغرب في القرن العاشر هجري/ السادس عشر ميلادي، ج2، دار الأمل، الجزائر، 2008، ص 64.
- ⁴⁹ -عبد الكريم الفكون: منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية، ط1، تج: أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1987م، ص 133.
- ⁵⁰ -ابن مريم المليتي المديوني: البستان في ذكر العلماء والأولياء بتلمسان، ط1، تج: عبد القادر بوباية، مكتبة الرشاد، الجزائر، 2011م، ص 83.
- ⁵¹ -محمد الكبير: كان باي لمعسكر سنة 1779م في فترة حكم الداي محمد بن عثمان باشا(1766-1791)، عالم مثقف لم تنسه مهامه الشائكة لاشتغال بالعلم، كما كان له اعتناء خاص بالرياضة. فقد كان يشرف على تعليم الرماية والسباحة، منح لقب الكبير من طرف الداي بعد انتصاره على الإسبان ودخوله وهران واتخاذها عاصمة لبابك الغرب، وبني بها المسجد الكبير كتذكاري للفتح. ينظر: أحمد توفيق المدني: المرجع السابق، ص 140.

⁵² M Emerit :Les aventure de Thédénat esclave et ministre d'un Bey D'Afrique (XVIII^e siècle) Mémoire deThédénat , Revu Africaine, n 92, 1984, p 172.

- ⁵³ -الداي شعبان(1689-1695م) من ضباط الجيش المشهورين، اتصف بالذكاء والحلم والبشاشة، عرف بكفاءته الحربية ويقضته، دخلت الجزائر في عهده صراعا مع تونس، توفي سنة 1695م. ينظر: ابن ميمون الجزائري: التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، ط1، تح: محمد بن عبد الكريم، دار الوعي، الجزائر، 2018م، ص 21.
- ⁵⁴ -وليام سينسر: المرجع السابق، ص 133.
- ⁵⁵ -أوجان فايسات: المصدر السابق، ص 150.
- ⁵⁶ -أحمد بن محمد بن سحنون الراشدي: المصدر السابق، ص 145.
- ⁵⁷ -محمد بن عبد الكريم الفكون: كتاب نوازل قسنطينة للشيخ محمد بن عبد الكريم الفكون المتوفي سنة 1114هـ/ 1702م، تح: هوارى تواتي، عائشة بلعابد، دار الزيتونة، الجزائر، 2018م، ص 582.
- ⁵⁸ -حنيفي هلايلي: الشرطة والقضاء في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني بين ثنائية المصادر المحلية والأوروبية، المجلة التاريخية المغربية، ع 134، س 36، مارس 2009، ص 153.
- ⁵⁹ - أحمد بن سحنون الراشدي: المصدر السابق، ص 126.
- ⁶⁰ -فندلينشلوهر: المصدر السابق، ص 82.
- ⁶¹ -وليام سينسر: المرجع السابق، ص 129.
- ⁶² -المرجع نفسه، ص 133.
- ⁶³ -وليام شالر: مذكرات وليام شلر قنصل أمريكا في الجزائر 1816- 1830م، تر: إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980م، ص 46.
- ⁶⁴ -الخازوق عبارة عن عصى تبرى إحدى نهايتها حتى تصبح حادة جدا، ثم تدهن بطبقة من الزيت والصابون، ويتم ادخالها من جهتها الحادة عبر الشرج ويضغط عليها حتى تخرج من كتفيه ثم تثبت العصا عموديا بغرسها في الأرض حتى يموت الفرد المعاقب. ينظر: أوجين فايسات: المصدر السابق، ص 150.
- ⁶⁵ -المصدر نفسه، ص 150.
- ⁶⁶ -سورة المائدة، الآية 38.